الانتفاضة والقوى السياسية في اسرائيل

عمر سعادة

على امتداد عقدين من الزمان، ظلت المناطق المحتلة في العام ١٩٦٧ تمثّل الطرف المنفعل من قطبي معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بينما احتل الكيان الصهيوني، مع استثناءات محدودة، مكانة الطرف الفاعل، المؤثر في صوغ أشكال العلاقات السائدة، وفي تطوّر البنى الاقتصادية ـ الاجتماعية للفلسطينيين، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وفي مصادرة طموحاتهم الوطنية.

وفي ظل حالة الاستقطاب والصراعات الداخلية، التي ميّزت الحقبة العربية منذ منتصف السبعينات، انفرد الكيان الصهيوني في تصميم مستقبل الضفة والقطاع، شعباً وأرضاً، بحيث أصبحت هذه المناطق، بسكانها، تبدو للمراقب وكأنها تساق نحو مصير محتوم، هو الضمّ والالحاق الشامل باسرائيل، سياسياً وادارياً واقتصادياً.

وفي ذروة، ومواجهة، هذه المرحلة، التي جسّدت انكفاء مشروع المواجهة العربي، واتجاه الجميع بانظارهم نحو استدعاء العمل الدولي تحت شعار «انقاذ ما يمكن انقاذه»، تفجّرت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية لتعيد الصراع الى ميدانه الاساس، ولتفرض صياغة جديدة لمعادلة الصراع، قوامها جدلية العلاقة بين طرفين فاعلين ومتناقضين.

فعقب اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، لم تعد المناطق المحتلة، في العام ١٩٦٧، تشكّل الساحة الخلفية الملحقة بالبيت الاسرائيلي، بل اصبحت بؤرة صراع حقيقية، قادرة على الفعل والتأثير في اسرائيل، بصورة لا تقل عن تأثير اسرائيل في المناطق المحتلة. كتبت الصحفية الاسرائيلية حنّه زيمر: «من الواضح ان المناطق [المحتلة] تمسك بنا أكثر ممّا نمسك، نحن، بها، وهي تتحكم فينا في جميع المجالات»[١].

لقد أخرجت الانتفاضة اسرائيل من حالة الاسترخاء السياسي، والعسكري، التي تمتّع بها خلال العقد الماضي، ووضعته قبالة استحقاقات كبيرة كانت خارج حساباته وتصوّراته. فمواصلة الاحتلال أصبحت عملية باهظة الكلفة، على الصعد السياسية والعسكرية والاقتصادية؛ وصورة اسرائيل لدى الرأي العام العالمي أصبحت اكثر انكشافاً، حيث نجحت الانتفاضة في احداث تحوّلات هامة في وعي الرأي العام العالمي للصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ كما جسّدت الانتفاضة المحتوى السياسي، والكفاحي، والانساني، لثورة الشعب العربي الفلسطيني، الامر الذي جعل اسرائيل تتعرّض لفيض من الانتقادات العلنية الحادّة من قبل جهات شعبية، ورسمية، في العالم، وخاصة من الاصدقاء التقليديين لاسرائيل. بل ان اصواتاً عديدة من بين يهود العالم ارتفعت للتنديد بسياسات اسرائيل الفاشية تجاه الفلسطينيين، وللمناداة بضرورة الاستجابة للمطالب الوطنية للشعب العربي الفلسطيني.